• دريافت ۱۴۰۰/۰۸/۲۳
• تأييد ۱۴۰۰/۱۰/۱۲

جماليّة توظيف عناصر الطبيعة و دلالاتها الرمزيّة فی أشعار محمد مهدی الجواهری

حجت رسولی*
سيده فيروزه حسينی**

الملخص

تعدّ الرموز ظاهرة فنّيّة فی القصيدة الحديثة. فهی إحدی السمات البارزة عند الشعراء المعاصرين. من بينهم محمد مهدی الجواهری، الشاعر العراقیّ المعاصر الذی وظف العديد من العناصر الطبيعيّة بالوعی والاستهداف. فصوّر أفكاره الوطنية باستخدام الرموز للكشف عن أفكاره الداخلية ذات المعاني الدلالية الإيجابية والسلبية. بذل قصاری جهده لتصوير اضطرابات المجتمع لاستيقاظ الوعی عند الناس . السؤال هنا ما هی أسباب توظيف هذه العناصر عند الشاعر؟ وما هی دلالاتها؟ تستهدف هذه الدراسة الحالية تحليل عناصر الطبيعة مع دلالاتها الحقيقيّة و الرمزيّة في أشعار الجواهری فی ضوء المنهج التحليليّ الوصفيّ. دلّت النتائج الحاصلة علی أن صورة الطبيعة فی أشعار الجواهری تارة تكون حقيقة وتارة رموز للأفكار وخلجات نفسه. إذ نراه يشير إلی العناصر الرمزيّة يستلهم من عناصر الطبيعة كالليل، البدر، السماء، الشمس، البوم، الغراب، النسر و... . لقد استخدم الجواهری الرموز بشكل مباشر وغير مباشر للاحتجاج علی الوضع الحالي لمجتمعه والتعبير عن أفكاره وأن تكون غطاء للتعبير عن الاحتجاج علی الوضع الراهن. فمن أهم العوامل التي دفعته إلی استخدام الرموز هی ثقافة محمد مهدي الجواهري الغنية، قراءاته فی القديم ونظره المستديم فی الموروث،معرفته بالأدب والمفردات الواسعة، إلمامه وإتقانه للشعر العربي القديم واهتمامه بأسلوب العصر العباسي.

الكلمات الدليليّة: الشعر الحديث، الرموز، محمد مهدی الجواهری، عناصر الطبيعة، الجماليّة

* أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتی، h-rasouli@sbu.ac.ir
** طالبة دكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتی (الكاتبة المسؤولة)، fffhoseini95@gmail.com

۱. المقدمه

تتضاعف أهميّة الرموز فی الأعمال الأدبيّة كونه عنصراً من عناصر البناء الفنیّ. رمزية الفن تعني التعبير عن الأفكار والعواطف والمشاعر بشكل غير مباشر أو من خلال الإشارة إلى كيفية التعبير عنها(چدويک، ۱۳۷۵: ۱). تمثل الرموز معان كثيرة كالعلم والجهل والفقر والخوف واليأس و ...

الشعر العربیّ لا تخلو من الرموز والإيحاءات الخفيّة. فأصبحت الرموز واحدة من السمات البارزة فی بنية القصيدة العربيّة. وقد أدخلت الرموز تغييراً اساسيّاً على شكل ومضمون فی النصوص العربية. انتشرت الرمزيّة بعد عام ۱۹۳٦ فی الأدب العربیّ.ظهرت ملامح الدعوة إلى الرمز فی الشعر العربی خلال الحرب العالميّة الثانيّة للخروج عن مظاهر التقليد الّتی سادت فی الشعر(عباس، ۱۹۷۸: ۳۰۸). جدير بالذكر أنّ معظم الرموز التي تشكلت في الأدب المعاصر تعبر عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية للوطن(جاسم، ۱۳۹۴: ۴۸ - ۴۵) في الحقيقة تُعتبر الأحداث السياسية والاجتماعية والاستعمار وما إلى ذلك، الدافع الأكثر أهمية للتوجه إلى الرموز والأساطير(جبرا، ۱۹۹۵: ۴۵) فاستخدم الشعراء والكتاب الرمز كأداة لتحقيق أهدافهم وغاياتهم. يعتقد جبرا أنه تزايد استخدام الرموز في الأدب المعاصر.إنّ التطورات السياسية والاجتماعية واستعمار الدول الأوروبية و قضيّة فلسطين يمكن أن تكون أحد الدوافع التي دفعت الشعراء العرب إلى اللجوء إلى الأسطورة(جبرا، ۱۹۹۵: ۴۵). كما يقول بعض الناقدين أنّ الرمزيّة الجديدة قد تأثّرت ببعض الشعراء الكلاسيكيين كشوقی، الجواهری، الشبيبی والحبوبی واليازجی، بدوی الجبل والأخطل الصغير(خلف، ۲۰۱۱: ١٤).

وهناك ارتباط بين عناصر الطبيعة والوظائف السياسية والاجتماعية والتربوية والعاطفية في أشعار العديد من الشعراء. فراح الشعراء يَستمدّون من الطبيعة الخلّابة استعاراتهم وأوصافهم وتشبيهاتهم. ومنهم محمد مهدی الجواهری شاعر عراق

الأكبر فقد تطرَّق فی أشعاره إلی القضايا الوطنيّة فله مكانة رفيعة وأسلوبٌ بارع فی الأدب. يمكن القول أن للنص القديم تأثير كبير علی أسلوب الجواهری (الخوری، ۱۹۵۰ : ۲۴۴). كما أن الجواهری تأثّر بالأدب الغربیّ فقرأ كتب شكسبير وبايرون وإليوت و ...(شعبان، ۱۹۹۷: ۲۰۸). اعتمد الجواهریّ الرمز أسلوباً للتصوير تحرّراً من السياقات التقليديّة والقاموسيّة (عباس،۱۹۷۸: ۳۰۸). فآثرها فی تكوين صورته الشعريّة. هو استمدّ عناصر الصورة من العالم الواقعیّ والطبيعیّ كالأرض، الشّمس، السماء، البدر، النجم، الحقول والروض و... فارتبط بين هذه المفردات وحالاته النفسيّة وتَكلّم عن الطبيعة بمعناها الواقعیّ وغيرها؛ فرفع قيمة فنيّة لقصائده بهذه الطريقة البلاغيّة.و اما السوال هنا ما هی دلالات العناصر الطبيعيّة الّتی يحملها الجواهری فی أشعاره ؟ وما هی الأسباب الّتی دعت الشاعر إلی توظيف هذه العناصر؟ و كيف استخدم الجواهریّ الرموز للتعبير عن نواياه وأفكاره؟ ؟ فتناولنا فی الدراسة الحالية تحليل عناصر الطبيعة مع دلالاتها الحقيقيّة و الرمزيّة في أشعار الجواهری فی ضوء منهج تحليليّ وصفيّ من خلال الإجابة عن الأسئلة المذكورة.

۲. خلفيّة البحث :

توجد أبحاث كثيرة حول محمد مهدی الجواهری نشير إلی بعض هذه الأبحاث:

سليمان جبران فی كتابه موسوم بـ: "مجمع الأضداد دراسة في سيرة الجواهري وشعره"(بيروت: المؤسسه العربية، السنة: ۲۰۰۳). قام بدراسة نقديّة حول حياة الجواهریّ و أشعاره السياسيّة و الإجتماعيّة. علی ناصر غالب فی كتابه موسوم بِـ" لغة الشعر عند الجواهری" (، عمان: دار الحامد ،السنة: ۲۰۰۹). تحدث عن ميل خطاب الجواهري في تأليف القصائد الطويلة، مُستعيناً بطرق مختلفة مثل الأمر، والنداء، والاستفهام واستخدام التركيبات النادرة.جعفر بهاءالدين فی كتابه "الإلتزام فی شعر محمد مهدی الجواهری"(بيروت: دارالكتاب العربیّ، السنة: ۲۰۱۱). قام بدراسة نقديّة

حول الحياة والنهج الاجتماعي والسياسي للجواهريّ. سليم البصون فی کتابه موسوم بـ "الجواهری بلسانه وبقلمی" (بغداد: دارمیزوبوتامیا، السنة: ۲۰۱۳) أتی بحوارات تدور بین المؤلف والجواهری حول الموضوعات المختلفة ونماذج من أشعار الجواهری. حسن محسن سلطانیّ فی مقال"وصف الطبیعة فی شعر الجواهری" الذی تمّ نشره فی مجلّة اللغة العربیّة وآدابها السنة ۲۰۱۳) تناول توصیف بعض عناصر الطبیعة من" الماء، نهر الفرات، دجلة، الربیع، الریاض، البادیة والقریة. علی طرخان فی مقاله بعنوان" ألفاظ الطبیعة و دلالاتها فی شعر محمد مهدی الجواهری"(۲۰۱٦/ جامعة بابل)،قام بدراسة نقدیّة فی أشعار الجواهری حول عناصر الطبیعة کَـ" السماء، الشهاب، الجوزاء، العشب و.... و دلالاتها. علی عزیز صالح فی مقاله باسم " التشکیل المکانیّ و دوره فی التکوین الدلالیّ عند الجواهری"،(۲۰۱۷)،تحدث عن ایران فاعتبر" ایران"، المکان الألیف و المکان المعادی. فأظهر النتایج فی هذا المقال أنَّ الجواهری زیّن أشعاره بالصور البدیعیّة متأثرا من طبیعة ایران الخلّابة و أنَّ ایران کانت مکانا أنیفا عند الشاعر اکثر مما أن یکون مکانا معادیا. وجدیر بالذکر أن عناصر الطبیعة کثیرة جدّا. فقد بحث کلّ الباحث عن بعض هذه العناصر و قام بتحلیلها و لکن هذا المقال هو دراسة نقدیّة للطبیعة ودلالاتها الحقیقیة والرمزیّة فی شعر الجواهریّ و جمالیّة توظیف هذه العناصر.

۳. عناصر الطبیعة فی دلالاتها الحقیقیّة

الطبیعة عنصر هامّ وذو قیمة فی النصّ الشعریّ. فتلعب دورا مهما فی ارتقاء الشعر. عرف الشعر العربی الطبیعة منذ القدیم. فکثیرا ما نشاهد مظاهر الطبیعة کوصف اللیل، المطر، السماء، الغیث و الروض و ما هو یناسبها فی أشعار الشعراء .

فالشاعر محمد مهدی الجواهری، استعان بالطبیعة وعناصرها من الأرض، والسماء، والأشجار، والنباتات، الأزهار والحیوانات لِیعبّر عن شدّة عاطفته و خلجات

نفسه. كما أن للطبيعة قيمة كبيرة عنده. فقام بتوصيف أجزاء الطبيعة بدقّة. فهذا مثل قوله:

إي و عَـيشٍ مَضَـى عَليـكَ بَهـيٍ ... وشُـعاعٍ مـن شَـطّكَ الـذَهبَيّ
والتفـاتِ النَخيـلِ حَولَـكَ حتّـى ... لـو تَقَصّـيتَ لـم تَجـد غيـرَ فـي
وانبسـاطِ السَّـفحِ الّـذى زاحَمَتـه ... دَفعـاتٌ مِـن مُوجـكَ الثّـوريّ
وسَـنا الشَّـمس حـينَ مَجّـت لعابـا ... أَرسـلته مـن نورهـا الكسـروى
فَتَخـالُ الضـياءَ والمـاءُ مـوجٌ ... فـي رِواحٍ مِـن جانـبٍ ومَجـى
كَخيـوطٍ مـن فضّـةٍ بـتنَ طـوع الـرّ ... يـح بـينَ الشِّـمال و الشَـرقى
وابتسـامِ البـدرِ المطـلّ إذا مـا ... بـاتَ يَجلـو الـدُجى بوجـهٍ وَضـى
وزَمـانٍ حلـوٍ كَطـلٍّ نـدىٍّ ... لـم يَشُـبهُ صَـفوُ السَّـماء بشـيء
لَـو تحوّلـتَ عـن مَجاريـك أو حُلـ ... ـت لمـا جِئـتَ بـالنكيرِ الفَـرىّ

(ديوان: ١/ ٢٢١)

تدلُّ الأبيات السابقة على وصف نهر الفرات. حاول الشاعر أن يجد وصفا متحركا للقارئ من خلال الخوض في التفاصيل. فهى عميقة وغنيّة جدّاً. فقد وظّف الجواهريّ التركيبات الجميلة كَـ «**شَطّكَ الذهبيّ**"، "**التفاتِ النخيل**"،"**انبساطِ السفحِ**"،"**موجكَ الثّوريّ**"،"**سَنا الشمس**"،"**ابتسامِ البدرِ المطلّ**" و"**صفوُ السّماء**». ففى البيت الثالث وصف الشاعر الضوء الشديد وحرارة الشمس التي تنتشر في الفضاء مثل **خيوط العنكبوت**. واستعمال «**لعاب الشمس**» مأخوذة من الأدب القديم نجدها فى قصائد الشعراء السابقين ومنهم جرير:

أنخْـنَ لِتَغـوير وقَـدْ وَقَـدَ الحَصَـى ... وذَاب لُعَـابُ الشَّـمْسِ فَـوْقَ الجَمـاجِم

(ديوان جرير،١٩٨٦: ٤٥٥)

يقول الأزهرى فى"تهذيب اللغة ": " لُعَاب الشَّمس هو الذي يقال له مُخاط الشّيطان، وهو السَّهَام، بفتح السين، ويقال له: رِيق الشّمس، وهو شبيه الخَيط، تَراه

في الهواء إذا اشتدَّ الحَرُ، و ِكد الهواء. ومن قال إنّ لُعاب الشَّمس السَّراب، فقد أَبطل، إنَّما السَّراب الّذي يُرى كأَنَّه ماءٌ جارٍ نصفَ النَّهار، وإنَّما يَعْرفُ هَذِه الأَشْياء من لَزِم الصّحاري والفلوات وسار في الهَوجر"(الأزهرى: ٢٠٠١، ج ٢٤٩: ٢).

هذه التراكيب قد أعطت القصيدة جماليّة وقوةً. يمكن القول أن الثراء اللغوى عند الجواهرى كأنه سمة غالبة وطاغية فى شعر الجواهرى، لاسيّما فى مرحلة النضج أى فى أواخر الأربعينات وكأنه ورث المعاجم اللغويّة كلها وامتلكها امتلاكا حقيقيا يتصرف به باقتدار.

إذا قرأ القارئ الأبيات فقد كشف الثراء اللغوى عند الجواهرى فى المفردات و التراكيب على طول القصيدة و لا يحس بالكسالة والوهن(علوان،١٩٧٥: ٣١٥).

وديوانُ "شوقى" بِما فيه مِن صُنُوفِ البِداعةِ رَوضٌ نَضر
فبيتٌ يَكادُ مِن الإِرتيا حِ واللُطفِ مِن رِقَّةٍ يُعتصَر
وبَيتُ يكادُ من الاِندفا عِ يَقدحُ من جانبيهِ الشَّرَر
وبَيتٌ كأنَّ "رُفائيلَ" قَد كَساهُ بكَفّيهِ إحدى الصُوَر
تُحِسُّ الطَبيعةَ فى طيّهِ تَكشَّفُ عن حُسنِها المُستتر
كأنّكَ تَسمَعُ وقعَ النَّدى بتِصويرهِ أو حَفيفَ الشَّجَر
وبَيتٌ تَرى "مِصر" أسيانةً تُناغى بِه مَجدَها المندثر

(ديوان: ٢/١٣٨)

فنرى أن الجواهري أظهر صورة ملموسة وموضوعية وجذابة أمام الجمهور من خلال التشبيهات المتتالية ودمج المشاعر الإيجابية والسلبية واستخدام تقنية التكرار. ربط الشاعر عواطفه الداخليّة بالاستعارات المتتالية.فاستخدم الصور والتشبيهات الكثيرة وظهر حبه العميق. تصاويره مبتكرة وخيالية. فجمع الشاعر العناصر معا.كأنك ترى مشهدا من اللوحة أمامك. فَشبّه ديوان الشوقيّ بالطبيعة والروض النضر بما فيها من الجماليّات.كأنَّه لوحة صوّره "رُفائيل[١]" المصور الايطالى العظيم المشهور بصوره

الخالدة. كأنّک تسمع تساقط الندى أو صوت أوراق الأشجار. فمزج التشبيه بعاطفة الحزن والألم. شبه ديوان الشوقى بالبيت الذى يُسمع منه صوت مصر الحزين. صوت يتحدّث عن مجده الضائع وكرامته. التوظيف الفنىّ للشاعر قوىّ جدّا. لأنّه يستذكر رسام عصر النهضة الشهير رافائيل فيظهر دراسته ومعرفته بالأدب الغربي.

إن النظام القانوني وخلق الطبيعة جميل فى نظرة الشاعر لدرجة أنه شبه خالقها بشاعر يزين قصائده بالقوافي:

وكأنّما العُشبُ النضيرُ خمائلٌ ومِن الورودِ لَها طَراز وافى
وكأنَّ مختلِفَ الورودِ صَحائفٌ فيها تُخطُّ بَدائع الأوصاف
و**كأنَّ خلّاقَ الطبيعةِ شاعرٌ** نَظَمَ الرياض قصائداً بقوافى

(ديوان : ۱/۱۸۵)

استعمال المتتالى فى مفردات"**العُشب النضير**"،"**الورود**"،**بدائع الأوصاف**" و"**نظم الرياض**" علامة عن حب الشاعر للطبيعة. فهو شبه خالق الطبيعة كشاعر رتّب الحدائق مثل القوافي. فهى تشبيه بارع و جديد.

استخدم الشاعر اسلوب التكرار. و وهب التكرار الى القصيدة جمالا اكثر فاكثر. فازدادت القصيدة ايقاعا. فيتلذذ المخاطب عميقا كما قال أنيس ابراهيم فى كتابه "موسيقى الشعر" أن التكرار هو الأصل الهام فى موسيقى الشعر فيتاثر فى نفس المخاطب تاثيرا سريعا(أنيس، ابراهيم،۱۹۷۲: ۸)

نموذج آخر: قصيدة "ساعة مع البحترى":

و**البَدرُ** بِالأنوارِ يَملأُ دجلةً زهواً و يَبعثُ فى النُّفوسِ خُشوعاً
وتَرى ارتياحاً فى الضفافِ وهِزّةً تعلُو الرِّمالُ إذا أَجدَّ طُلوعاً
وجَرت على الحَصباءِ دجلةُ فِضّةً صُهرَت هُناکَ فَمُوِّعت تَمويعا
وكَأنّما سبكُوا قواريراً بها مضَّ السّنا فَتَصَدَّعت تَصديعاً
وتَرى الصُّخورَ على الجبالِ كأنّما لَبِسَت بهنَّ من الهَجيرِ دُروعاً

(ديوان: ۱/۴۸۵)

أنشد الجواهري هذه القصيدة حينما رأى مدينة سامراء لأول مرة. استخدم الشاعر أوصافا جميلة في هذه الفقرة: يملأ القمر نهر دجلة بالإشراق والجمال، ويثير التواضع في النفوس والأرواح. ترى الهدوء والحركة على الشاطئ عند عودة شروق الشمس.كان نهر دجلة يتدفق كالفضة على الحصى. الجو حار جدا هناك. كأنَّه سكبت الزجاجات فيه والجبال مغطاة بالدروع بالحرارة الشديدة. استرفد الجواهرى رمز "النهر" فى معظم أشعاره. فهو يرمز الى الخصب، والثمر، والحياة، والحركة والنموّ. فالنهر يراد به أحياناً "الفرات " و"دجلة". فالشاعر مفتون بالفرات.

نلاحظ فى الآبيات السابقة أن الجواهرى جمع العناصر معا وكأنك ترى مشهدا من لوحة أمامك.كما قال پير سوانه[٢] فى كتابه " الأصول الجماليّة[٣]"" **أن الشعر رسمٌ**" (سوانه، پير، ١٣٨٨: ١٢٨) فالمخاطب يتصور و ينسجه الشاعر من أفكار.

الجواهرى معجب فى للطبيعة، معجب فى لنعمات اللّه. تعمّق فى مخلوقات اللّه تعالى.كما صور هده الفكرة فى قصيدة " البادية فى ايران ":

وأُشكُرى يا أرض **أَلطاف السَّماء** تُسلَبُ النعمةُ إن لم تشكرى

(ديوان: ٣/٤٠٧)

ورُونقٌ فى الثَّرى وعَلى الرُوضة **لُطفٌ من السَّماء** مَسكوبٌ

كُلُّ شَئ **تَحت السّماء** بلونٍ شَفقيٍّ مُوَرَّدٍ مخضوب

(ديوان١/٤٤٩)

نُشاهد فى الأبيات السابقة أنَّ الشاعر يدعونا إلى التعمّق والتفكّر فى نعمات اللّه بما فيها من ألطاف اللّه. فهذه الأبيات إشارة بآية (**وأنزلَ من السّماءِ ماءً فَأخرجَ به مِن الثَّمراتِ رزقاً لَكُم** ") (القرآن الكريم، بقره / ٢٢). فقد تأثر الجواهرى بالقرآن و نهج البلاغة وسائر الكتب الأدب القديم كما كتب في مذكراته عن اهتمام طالب الدين بالكتب الدينيّة و الأدبيّة فقد قالت: "إنَّ الظاهرتين الدينيّة و الأدبيّة كانتا تلتقيان وتصبّ كل منهما فى مجرى الأخرى، وذلک بحكم فصاحة القرآن الكريم وبلاغته

دينيّاً. أمّا أدبيّاً، فمن منطلق الكتب الأدبيّة، مثل"نهج البلاغة و أمالى القالى و الأغانى للإصفهانىّ و الجاحظ و كتب النحو و البيان وما خلف الشعراء من نوادر. كلّ هذه الكتب الأدبيّة كانَ يلتزم بطالب الدين"(جواهرى،۲۰۰۵: ۶۵). فـ" صور الجواهرى إلهامه من القرآن الكريم في قصيدة "درس الشباب وبلدتي والثورة:

لَو سُئِلنا كَيف نَظَم الشِّعـ ... ر حِرنا فى الجَواب
لَستُ أدرى غَير أنّى ... كانَ حُبُّ الشِّعرِ دابى
كادَ يُلهينى حَتّى ... عَن طَعامى وشَرابى
قَد قَرأتُ الشِّعرَ فى " القر ... آنِ" من عَهد التِصابى:
"بِقُدورِ راسياتٍ ... وجِفانٍ كالجوابى"
(ديوان: ۳۱۷/ ۱)

كذلك قام بمهارة خلق ارتباط بين عناصر الطبيعة والقضايا الاجتماعية والسياسية.فنرى منهجه فى الوصف يشابه اسلوب الشعراء القدماء. فقد تأثر ببعضهم خاصّة البحترى كما أشار في إحدى قصائده:

وَقفتُ حَيثُ **البحترىّ** تَرقرَقت ... أَنفاسُهُ فَشَفعتُهُنَّ دُموعا
أكبرَتُ شاعرَ جعفرٍ، وشُعُوره ... يَستَوجِبُ الأكبار والتَرفيعا
ولَمَستُ فى أبياتِهِ دَعة الصِّبا ... ولداتِهِ، والخاطرَ المَجموعا
ولَئن تَشابَهت المناسكُ، أو حَكى ... مَطبوع شِعرى شِعرَهُ المطبوعا
(ديوان: ۱/۴۸۶)

يرى الجواهرى انه يجب على الشاعر أن يمنح حق شاعريّته، وإلا فلا يمكن أن نسميه شاعرًا:

لستُ بِالشاعرِ إن لَم يُصِبنى ... أينَما كانَ، جَمال الصُوَر
فى الثَرى، فى الرَّوضِ، فى أفق السَّماءِ ... فى شآبيبِ الحَيا، فى الحَجَر
وأُشكُرى يا أرض الطافَ السَّماءِ ... تُسلَبُ النعمةُ إن لَم تَشكُرى

واذكُـــرى الشِّـــدّةَ فـــى فَرحتِهـــا واعرفـــى حُســـنَ صَـــنيعِ المَطـــر
(ديوان: ٤/١٣٧)

كما يعتقد الجواهرى أن الشعر الحسن هو الشعر الّذى يعكس قدرة الخالق:

هكـــذا كُنـــتُ و مـــا زادَ عَلـــى العشـــر نِصـــابى
حَبّـــذا الشِّـــعرُ رَبيعيّـــاً طَبيعـــيَّ الإهـــاب
مُظهـــراً قـــدرةَ ربّـــى فـــى وِهـــاد أو رَوابـــى
(ديوان: ١/٣١٦)

بديهىّ أن كمال قدرة الله يبدو فى الطبيعة. فتعكس عناصر الطبيعة قدرة الخالق البارئ لمن يتعمّق فيها خاصّة للجواهرى الّذى كان يتأثّر تاثيرا عميقا من آثارخلقة تبارک و تعالى.

جدير بالذكر إذا نطالع أشعار الجواهرى فنرى أن اكثرمن وصف الطبيعة قصائده بعد تركه البلاط. يقول سليمان جبران: "قصائد الطبيعة جميعها كتبها الشاعر فى الثلاثينات، بعد خروجه من البلاط. فقصيدة" **القرية العراقيّة**" أولى هذه القصائد وأطولها وأهمّها فى رأينا، كتبها الجواهرى سنة ١٩٣٢ بعد خروجه من مغادرة البلاط، مأخوذة بألوان الحضارة فى القصر وفى بغداد العاصمة، فيتأمل جمال الطبيعة، ويستمتع بألوانها وحركاتها وسكناتها"(سليمان، ٢٠٠٣: ١١٤).

٤. الطبيعة فى دلالاتها الرمزيّة:

نرى تغييراً فى شعر الطبيعة عند الجواهرى أحيانا.فقد اتخذ الشاعر الطبيعة رفيقاً ومواسياً. فهو يحسُّ الطبيعة ويقرأُ حركاتها وعناصرها، فيبعث الحياة فى جوامدها(سليمان، ٢٠٠٣: ١١٤). يقول دكتور محمد فَتّوح أحمد فى كتابه «الرمز و الرمزيّة فى الشعر المعاصر»: " إن إتخاذ مظاهر الطبيعة رموزا للحياة النفسيّة يختلف عما تعوده الرومانتيكيون من إسقاط مشاعرهم عليها فقد اكتفوا من الطبيعة بأن تقوم بدور

الشريک الّذی يُقاسمهم الكآبة والبهجة" (احمد، ۱۹۷۷: ۳۱۲). بديهیّ أن الجواهری يلجأ الی الطبيعة من الشرور و الحادثات فيسعی أن يتخذها مؤانسا و شريكا لآلامه.

۴. ۱ عناصر الطبيعة الرمزيّة

استمدّ الشعراء من عناصر الطبيعة ليعبّر عما فی أفكارهم كما كانت الطبيعة مصدراً هامّا. فاستمدَّ منه الشاعر العربیّ بعض أشكاله الرمزيّة معتمداً علی خاصّتی التجسيد و التشخيص(احمد، ۱۹۷۷: ۳۱۳). صور الجواهری عناصر الطبيعة بالأسلوب الرمزيّة.

الليل:

كان لليل رموز مختلفة خلال الفترات الأدبية. قيل إنَّ الليل هو رمز للنوم والموت والحلم والقلق والخداع (شواليه و آلن گربران،۱۳۸۵،ج ۴ : ۲۹). يرتبط الليل بالحزن والقمع والاختناق في الأدب المعاصر كما كان استخدام الليل فی الأدب القديم للمناجاة الصوفيّة وأغراض أُخری. «الليل» عنصر هام عند الجواهری فعبّر الشاعر عن العواطف و خلجات نفسه من خلال توظيف«الليل» فقد اتخذها الجواهری مؤنساً لنفسه فی قصيدة «الليل و الشاعر»:

لَئن شَكرَ الصَبحَ المحَبون **إننی** **شَكَرت الدُجی إذ كانَ بَينَنا سرّاً**
و **لَيلٍ رثی لی** والأَحِبّة نُوَّمٌ له مُقلةٌ يالشُّهبِ مِن لَوعتی عَبری
(ديوان: ۱/۱۳۳)

يناجی الشاعر الليل ويتذكر أيّام صبابته. فيخاطب الليل:

و لَيلٍ ذكرتُ بِه صَبوَتی فَعُدت إلی الزَمَن الأوّل
(ديوان: ۱/۱۴۳)

لِأهلِ الهَوی يا لَيل فيكَ سَرائرٌ عِجابٌ وغدرٌ ان ينُمَّ صَباح
(ديوان: ۱/۱۴۶)

جسّد الشاعر الليل انسانا فيتكلّم معه: أيا ليل كم فيكَ من خاطر / لذی لوعة

بالأسى ممتلى/ وكم مقلة فيكَ سهرانة/ وكم غُلَّةٍ فيكَ لم تُبلل/ تَجلّى بكَ البدرُ رَبُّ الجمال/ فهامَ بطلعته المجتلى/ أيا ليلُ هامَ بكَ المغرمون/ لما فيكَ من عالم أمثل/ فراشاً بجنحكَ حاموا على/ سنا البدر ينزل او يعتلى/ أيا ليلُ رُحماكَ يا ذاالجلال/ و يا بدرُ عطفاً فأنتَ العلى (ديوان: ۱/۱۴۴). فتحدّث الشاعر بالليل والبدرمعا. فيعشق جمالهما. فاتخدهما مؤانسا فيناجى معهما. .

البدر:

اتكىء الجواهرى على رمز«بدر» فلاذ اليه كلّما أحسّ بالحنين إلى الماضى:

كَلّما حُدّثتُ عَن نَجم بَدا حَدَّثتنى النَّفسُ أن ذاكَ أنا

(ديوان: ۱/۱۳۱)

فاتّخذ الشاعر«بدر» رمزاً للتعبير عن أفكاره وعواطفه:

شَكوتُ الى البَدر الهوى شَأنَ من مَضَى قبيلى فَلَم اسكُت ولا نَطَقَ القَمر

(ديوان: ۱/۱۲۱)

ويا بَدرُ كَرّر حَديثَ الشُّجُونِ فَلَولا هَوى بِكَ لم تَضؤل

(ديوان: ۱/۱۳۳)

فالبدر من أشدّ المفردة الذى لجأ الشاعر إليها فى وقت الشدة وفى خلوته. فهو يتكلّم و يناجى البدر. فيشكو اليه. ويطلب منه أن يكرر له احاديث الشجون حتى يطمئنّ نفسه.

النجوم :

النجوم من العناصر الهامّة فى أشعار الجواهرى لأنها تذكّرته البلايا و مشاكل الوطن:

لا تحَسبُوا العَدَّ بِالأرقام يُسعُدُكم **تُحصَى النُجُوم وما تُحصَى بَلايانا**

(ديوان: ۱/۲۹۲)

فى البيت التالية، يصوّر الشاعر خلجات نفسه بمشاهدة نجوم السماء:

خـروق نُجـوم فـی السَّـماء تَلاوَحَـت كَمـا لاحَ فـی جِسـمِ الطَعـين جِـراح
(ديوان: ۱/۱۴۶)

يقول الشاعر أن فتحات النجوم عندما تومض واحدة تلو الأخرى؛ مثل الجروح التي تتوهج في جسد انسان جريح. في كثير من هذه الحالات، في الكثير من هذه المواقع استخدم الجواهریّ استعارة بسيطة وواضحة. وأكثر ما يلفت النظر في صور الشاعر هو أنّه استخدم التشبيهات الملموسة أكثر(علوان، ۱۹۷۵: ۳۲۲) كما قال:

وأنِّـی كَاللیـل بـادی الهُمُـوم **وأنّـی كَـالنَجم** لَـم انعـس
ولـی قلـبٌ حُـرٌّ عصـیٌّ الزمـام فـان راضَـه حُـبُّكم يسـلس
وكـم ليلـةٍ بـتُّ فـی عُزلـة ومـن طيـبِ ذكـراكمُ مجلسـی
(ديوان: ۱/۱۳۶)

فالشاعر صور نفسه كالليل والنجم. جعل الليل مملوءٌ بالهمّ والألم فصور نفسه كالنجم الّذی لم ينعس. بهذا وظّف الشاعر التكرار. فامتزاج الرمز و التكرار فی اسلوب رائع.

الشمس:

«الشمس» من عناصر الطبيعة الهامّة. الشمس منبعٌ للضوء. فهی أساس لحياة المخلوقات. الشمس رمزٌ للخصب بما فيها من فوائد ومنافع للناس. فترمز الشمس بالقدرة، الشجاعة والرفعة أيضا:

أنـتم " الشّـمسُ فـی السَّـ مـاءِ وأزكَـی وأرفَـع
و" عُقـابٌ" علـی الجَـوا ءٍ منيـعٌ وأمنـع
أنـتم " الموت" هـل يَحيـ نُ مـن المَـوتِ مَصـرع
أنـتم " الُخلـدُ " هـل يَغيـ ضُ مـن الخلـدِ مَنبـع

شجّع الجواهری أبناء الوطن وشبّههم بالشمس الّتی فی السماء. فطلب منهم أن ينفع الناس كما تنفعهم الشمس. فحيا الشاعر الأمل و الرجاء فی أذهانهم. فشجعهم

بتشبيههم"عقاب"، " الموت" و" الخلد" بما فيها من دلالاتها. فقد استخدم الشاعر أسلوب التكرار لتثبيت وتقوية المعنى و الموسيقى.

الريح:

نرى «الريح» رمزا للبشارة فى بعض أشعار الجواهرى. الريح رمز للرزق، الخصب والبشارة ومن خصائصها الأخرى القدرة والحركة. فرُبّما الريح رمز للظلم و الغضب للدلالة على شدّتها أو برودتها وحرارتها كما قال فى قصيدة "الذكرى مؤلمة ":

أقولُ وقَد شاقتنى الريحُ سحرةً ومَن يَذكرِ الأوطانَ والأهل يَشتق
ألا هَل تَعودُ الدارُ بعد تَشتّتٍ ويُجمَعُ هذا الشَملُ بعدَ تفرّق
وهَل نَنتشى ريحَ العراق وهل لَنا سَبيلٌ إلى ماء الفرات المُصفّق
(ديوان۱/۲۵۸)

فالشاعر جسّد الريح وهى تشتاقه فيقول أن الريح أصبحته مشتاقا" لأنها يتذكره الأوطان. فيسأل الشاعر فى أسلوب الإستفهام الإنكارىّ: "هل تعود الدار بعد تَشتّت"؛ فتسكرنا رائحة العراق.الريح هنا رمز للسرور والفرح فى العراق.

الدجى:

أَطبِق دُجى أَطبِق ضَبابُ أطبِق جَهاماً يا سَحاب
(ديوان: ۳/۴۰۷)

يريد الجواهرى أن ينشر الظلام نشرا واسعا من خلال التهكّم والسخرية. الظلام هو رمز عدم الرضا. اتخذ الشاعر اسلوباً خطابيّا. فتزداد القصيدة اكثر جمالاً. الجدير بالذكر نبرة قصائد جواهري السياسية نبرة خطابيّة بلاغية غالبًا. وقد استخدم في قصائد مثل "**أطبق دجى**" تقنيات البلاغة وإلقاء المحاضرات بشكل جيد(الخازن، وليم : ۸۴) كما قيل نبرة الكلام والقصائد السياسية للجواهرى نادرة في تاريخ الأدب العربي.

قدرة الجواهرى في إنشاء صور جذابة مثيرة للانتباه. تثير آثار النضال ضد

الاستبداد فی قلبه ضجة كبيرة فأدان الأعمال الاستبدادية للحكام بلغة ثورية. فصور الأجواء الشائنة التي سادت فی بلاده بعبارات جميلة وانتقد الحكام وهاجمهم بوضوح. واعتبرهم العامل الرئيس للفقر والبؤس. روح التمرد لدى الشاعر ومقاومته الفطرية من أهم العوامل التي دفعته إلى تأليف الأشعار الوطنيّة. كما صورها بشكل مباشر في إحدى قصائده.

أَساتِذَتی، لا تُوجِّدونی فَإنّنی بوادٍ وكُلُّ الشاعرَينِ بِوادی
ولا تَعجَبُوا أنَّ القَوافیَ حَزينةٌ فَكُلُّ بِلادی فی ثِياب حِداد
وما الشعرُ إلّا صَفحةٌ من شِقائِها وما أنا إلّا صَورة لِبِلادی
فلاتذكروا عَيشی فإنَّ يَراعَتی تَرفَّعُ عَن تَدوينِه ومِدادی !
(ديوان: ۱/۱۱۴)

التراث الأدبي من الأشياء القريبة من روح الشعراء. يمكن أن ينطوي استخدام الرموز الأدبية على العديد من المعاني، بما في ذلك المعاني السياسية والاجتماعية والأدبية والفكرية والثقافية والعاطفية(زائد، ۱۹۹۷ : ۱۳۸). كما نرى فی كثير من أشعار الجواهری الرموز تدلّ على المعانی الكثيرة.

۴. ۲ العناصر الحيّة فی دلالاتها الرمزيّة

استدعى كثير من الشعراء الرموز الطبيعيّة فی أشعارهم كالطيور، والحيوان، والسماء،والأرض، والبحر، والنبات و ...بما فيها من الحيويّة و الإيحاء. فاستخدام رموز الحيوانات هو غطاء استخدمه الشاعر للاحتجاج على الحالة الراهنة للمجتمع. فهی تحمل دلالات سياسيّة كثيرة. إن مهارة الجواهری في عرض مشاكل المجتمع واهتماماته في شكل قصائد جميلة وممتعة مزينة بعناصر من الطبيعة جديرة بالاهتمام.

البوم:

إن «البوم»من الطيور.نعلم أن للطيور مكانة خاصة فی الأدب والشعر من القديم. تُعَدّ

البومة طائر مشؤوم وغير محظوظ. يستخدَم المعنى الرمزي لهذا الطائر في الشعر المعاصر غالبا في القصائد السياسية والاجتماعية:

قَد سَئمت الشعرَ ما فيه سِوى مَعنىً كِذابِ
كُلَّ يَومٍ شاعِرٌ **كَالبُوم يَنعَى فى خَراب**
وقوافٍ لا يَلحن السَّمعَ إلّا باغتِصاب
لهجةُ الصِدق بها مِثلُ بَياضٍ فى غُراب

(ديوان: ٣١٧/ ١)

وظف الجواهرى البوم رمزا للشاعر الّذى يصرخ بالصوت الأعلى دون أن يتأثّر فى الأخرين لأنّ كلامه مملوءٌ بالكذب. فشبّهه بالبوم الذى ينعى فى الخراب إذا أشعاره تثير الغضب. فشعره خال من الصداقة كما تقول "الغراب الأبيض" لأن البياض ليس موجودا فى الغراب.فطلب الشاعر من شباب بلاده التجديد فى الفكر وزيادة المعرفة. فاستخدام صنعة التشبيه من جانب الشاعر تؤدّى لتقوية وتاكيد المعنى و جمال. فيريد الشاعر أنّه لا يقبل الشعر الكذب.

نموذج آخر فى قصيدة " أطبق دجى":

أَطبِق دَمارُ عَلى حُماةِ دمارهم، أطبِق تَباب
أَطبِق جَزاءُ عَلى بُناةِ قُبورِهم أطبِق عقاب
أَطبِق نعيبُ، يُجِب صَدا كَ البومُ، أطبِق يا خَراب

(ديوان: ٣/٤٠٧)

قصيدة «**أطبق دجى**»من الأشعار السياسيّة للجواهرى. يسيطر عليها جوّ الألم والحزن. اعتقد بعض الناقدين أن الجواهرى إتخذ عنوان القصيدة من حروف «**قُطُب جَد**» التى من الأصوات القلقلة و تدل على الحركة و الإضطراب(غالب،٢٠٠٩: ١٦١).

كأنّ الشاعر فى قصيدته خطيبٌ ويلقيها فى المحافل(حجّاوى،٢٠١٦: ٥٦٣). فنادى الشاعر الدجى، والنعيب،و عقاب، وتباب،و خراب و...الخ لإظهار أفكاره

الداخليّة. هذه الكلمات صُوَرمرعبة مظلمة تتكاملة فى إطار درامى ينم عن شدّة فى التوتر و الفجيعة واليأس لا تستشف إلّا فى اولئک الشعراء النوادر الذينَ لا ينبع غضبهم الا عن أغوار القلق والشفقة على الإنسانيّة و مصيرها(العلوى، ۱۹۶۹: ۷۴). استخدم الشاعر أسلوب النداء ،و التكرار،و صنعة التشخيص والفاصلة الّتى حدثت بين الفعل" يُجِب" و الفاعل" البوم"، فقد ازداد البيت جماليّةً. بالإضافة عليها استخدم مفردة "البوم" بمجاورة كلمة "خراب" ليدلَّ على خراب اكثراً و شمولاً. فوصف في بعض قصائده يأسه في عدم حل مشاكل الوطن بإستخدام رمز "البومة" أيضا:

تنادَت بِويلٍ فى ديارکَ بُومَة وأَعلنَ نحساً فى سَماکَ مُذنَّب
تَكاثرت الأقوالُ حقّاً وباطلاً وقالَ مَقالَ الصِدقِ جلفٌ مُكذّبٌ
(ديوان،۱/۵۷)

كرر الشاعر الرموز على التوالي في جميع أنحاء القصيدة أحيانا. بعض هذه الكلمات هي كلمات مفتاحية من وجهة نظر الشاعر. هذا ما يسميه جاكوبسن كعنصر مهيمن و عنصر التركيز في العمل الأدب (اسكولز، ۱۳۷۹ : ۱۲۹).الرمز له تكراركثير في قصائده. وقد استخدم هذه التقنية البلاغية كعنصر مهم لإبراز الخطاب وتقوية المعنى في مجموعة واسعة من قصائده و أعطى الحركة إلى القصيدة. اعتقد سيروس شميسا أن عدم وجود ديناميكية في قصائد بعض الشعراء يرجع إلى عدم وجود ديناميكية في روح الشاعر(شميسا، ۱۳۷۳: ۶۰).

قصيدة " مُنى شاعر"

كَم بِبغداد ألاعيبُ وأَساطيرٌ أعاجيبُ
وأَساطينٌ إذا أُمتُحنُوا فَمَهازيلٌ مَناخِيبُ
خزيتَ بَغدادُ مِن بَلَدٍ كُلُّ شَئٍ فيه مَقلوبُ
فَلَقُ الإِصباحِ غِربيبُ **ونَعِيقُ البوم تَشبيبُ**
وبُيُوت الفِسقِ عامِره وعَرينِ الليثِ مَنهُوبُ

خَزِيَـــت بَغـــدادُ تَعرُكُهـــا مِـــن ضِـــباعٍ جُـــوّع نِيـــب
خَزِيَـــت بَغـــدادُ حَنّكهـــا فـــى المَـــذلّاتِ التجارِيـــبُ
كَـــم بِبغـــداد ألاعيـــبُ وأضـــاحيكٌ أخاشـــيبُ
(ديوان،١/١١٩)

وصفُ الجواهرى دهشته من بغداد وما فيها من الأعيب، الأساطير و أضاحيكٌ أخاشيبُ. أكّد الشاعر على خزيان بغداد فعبّرَ عن خلجات نفسه بإستخدام الرموز الثلاثة من" البوم"، "الليث" و"ضِباع جُوّع". البومة رمز لحكام عصره: "نَعِيقُ البوم تَشِيبُ" : فقد شبّه صوت الحُكّام بالتشبيب بأسلوب الإستهزاء والتهكّم كما شبّه فى الشطر السابق "فلق الإصباح بالغربيب فى السواد و الإغبرار"." عرِين الليث" يدُلّ على ماضى بغداد وما فيها من فخر ومباهات."ضِباعٍ جُوّع" تعبيرٌ عن المستعمرين الّذين غصبوا الوطن. امتزاج هذه الرموز بالتكرار فقد أصبحت القصيدة اكثرجمالا.

الغُراب:

للغراب رموز مختلفة في الأدب. في كثير من الحالات، تستخدم الغربان لتوخي الحذر. يلعب الغراب دوراً مهماً فى الأدب المقاومة. استخدم العديد من الشعراء المعاصرين رمز الغراب للأعداء، بما فيه من إذلال وذل الحكام. قد وظّفَ الجواهرى الغراب للمسائل السياسية والإجتماعيّة للعراق:

أَطبِق دُجى حَتّى يَملَّ مِن السَّواد بِه **الغُراب**
(ديوان ٣/٣١٧)

خاطب الشاعر الظلام من أجل الاحتجاج على الوضع الراهن للمجتمع، الغراب هو رمز السواد والشر ولكن يتعب من شدّة السواد. يريد الشاعر الشكاية من وضع المجتمع. فجسّد اللون الأسود. الأسود هو اللون الّذى أكثر إستعمالا فى أشعار شعراء المقاومة. كما جاء باستخدم اللون الأسود كرمز للخراب فى قصيدة " عتاب مع النفس

"فيشتكى الشاعر عن الوضعيّة الراهنة للمجتمع:

ويَــومٍ لَبِســتُ عَليــه الحَيــاةَ **سَـــوداء** كَاللّيلـــة الغَيهَـــب
أرى بَسـمَة الفَجـرِ مِثـل البُكـاءِ وشَـــدوَ البلابـــلِ كالمَنعـــب
(ديوان۲۸: /۲)

يجب أن نذكر أن اللون هو اللغة الرمزيّة الّتى استخدمها الشاعر فى إبداعه بما يحمل من دلالات عميقة وغنيّة وهناک علاقة ايحائية جماليّة تمنح العمل الفنّىّ قيمة جماليّة مستقلّة(الزواهرة، ۲۰۰۸: ۲۲۸). فاستخدم الشاعر الأسلوب السخريّة فيهدف ايقاظ الناس وتحفيز عقولهم وتشجيعهم. كما نرى فى البيت التالى:

غُرابٌ تصبّاه غُرابٌ، وثعلبٌ يُطاردُ فى جَوزِ السمواتِ ثَعلبا
(ديوان: ۱/۷۹)

فصوّر الشاعر آلام الوطن. وأظهر غيظه و شدّة اعتراضه على المشاكل الراهنة للوطن فأراد من خلاله انتباه الناس. فدعا الناس أن ينهضوا ويدافعوا عن وطنهم.

الحمامة:

الحمامة أكثر شيوعا فى الخيال والتصوير والرمزية. فتدلُّ على السلام والمصالحة (هال، ۱۳۸۳: ۷۷). يستخدم الحمامة في الأدب العربي كرمز للجهل والحزن أيضا. فمن الأمثال الشائعة مثل"أخرق من الحمام" و"أشجي من الحمام (الميدانى، ۲۰۰۴، ج۱: ۲۷۹).

حَمامة أيكِ الروضِ ما لى وما لَكِ ذُعرتِ، فَهَل ظُلمُ البريّةِ هالكِ
نفرت وقَد حقّ النُفور لأنّنَى مُجسَّم أحزان وقفت حيالک
ولولا جَناحٌ طارَ عَن موقعِ الأسى لكانَ قريباً مِن منالى منالک
(ديوان: ۳/۴۰۹)

ربط الجواهرى الحمامة بالمسائل السياسية والحزن والأسى كرمز. الحمامة عنده رمز للإنسان المضطهد. فهو يرى نفسه حمامة حزينة ويتمنى أن يكون له جناح مثله

حتى يطير و يبتعد عن الحزن واليأس. كما نعلم أن للطيور مكانة هامّة عند الجواهرى. لأنّها تعبر عن مفاهيم كثيرة للدلالة على الفضائل،البصيرة وذمّ الرذائل. على سبيل مثال نجد" البلبل" ذو صوت جميل. فيطلب الشاعر منه أن يغنّى وينظم الآلام شعرا. هذا تعبير الشاعر فيه من حسن و جماليّة يسخر القلوب: أيُّها البلبل غَرِّد/ وانظم الآلام شعراً (ديوان: ١/١٢٢) .

استخدم الشاعر الحمام والغراب معاً أحيانًا:

لقَد طافَ الخيالُ علىَّ طيفاً　　**رأيتُ بِهِ الحَمامة والغُرابا**
فَكانَ **العدلُ** ممتلئاً سقاماً　　وكانَ **الظّلم** مُمتلئاً شباباً
فيا وطنى مِنَ النكباتِ فأمَن　　فقد وَفَّتكَ حَظّكَ والنصابا
(ديوان: ١/٦٨)

في الأبيات السابقة استخدم الشاعر رمزَي "الحمامة" و"الغراب" ليصور العدالة المفقودة ويظهر حزنه. فى قصيده "الروضة الغناء"يصور الطير. الطير هنا رمز للناس الّذين لايتكلمون حذر الحكام :

و **الطيرُ يَكتمُ نُطقَهُ مُتحذِراً**　　**خَوف انتباهِ الصُّبحِ للأسلاف**
(ديوان: ١/١٨٦)

فرأى الجواهرى ابتسام الفجر بكاءا و شدو البلابل منعباً. هذا التعبير يدلّ على عواطف الشاعر المحزونة. فهو صوّر الطير انساناً ينطق. فارداد الشعر جماليّة عند المخاطب.

النسر (عُقاب):

النسر هو رمز القوة والقدرة والطموح. استخدم الجواهري رمز النسر في قصائده. يعتبر النسر رمزًا للأحرار والمقاتلين الذين يطيرون لتحقق رغبات الأمّة وتطلعات أبناء وطنهم.

أَطبِق دُجى: حَتّى يُحلِّق　　فى السَّماواتِ **عُقاب**
(ديوان: ٣/٣١٧)

الشاعر غير راض عن الوضع في البلاد. فالظلام هو رمز عدم الرضا عن الموقف فصوّر

الشاعر عدم رضاه بأسلوب السخريّة. النسور رمز للمقاتلين والمتحمسين الذين يمكن لهم اتخاذ إجراءات لإنقاذ البلاد من المشاكل. جاء رمز "النسر" فی قصيدة "الليل و الشاعر":

وليـلٍ بـه نـمَّ السَّـنا عـن سُـدوفِه فَنمَّـت بِمـا تُطـوَى عَليـه الأضـالعُ
تَلامَـعُ فـی عَـرضِ الأثيـرِ نُجومُـهُ كـأنَّ الـدُجی صَـدرٌ وهـنَّ مطـامعُ
رَعيـتَ بِـه الآمـال والنسـرُ طـائرٌ إلـی أن تَبـدّی الفجـرُ والنَّسـرُ واقـعُ

(ديوان: ۱/۱۰۷)

النسر هنا رمزٌ لمنقذی الوطن. فقد تكلّم الشاعر عن آمال الوطن وأمانيها الّتی يُحقّقها الأحرار. فشبههم بالنسر:

أنـتم "الشّـمسُ فـی السَّـ مـاء وأزكـی وأرفـع
و"**عُقـابٌ**" عَلـی الَجـوا ءِ منيـعٌ وأمنـع
أنـتم "المـوتُ" هَـل يَحيـ نُ مـن المـوتِ مَصـرع
أنـتم "الُخلـدُ " هَـل يَغيـ ضُ مـن الخلـدِ مَنبـع

فی قصيده"ما تشاؤون"، شجع الجواهری المؤاطنين فشبّههم بالعقاب فی القدرة و الصولة فيؤكّد كلامه بتكرار "أنتم".فازدادت الأبيات جماليّة. الجدير بالذكر استخدم الشاعر مفردة" الأسد" رمزا للقدرة و الصولة فی بعض أبياته: هُبُّوا فعن عرينِهِ / كيف ينامُ **الأسد** (ديوان: ۲۴/ ۲).

الذئاب :

الذئب رمز الغدر و الحرص والظلم. قيل إنه حريص لا يقنع أبداً كما جاء فی الأمثلة العربيّة: " أخون من الذئب"(العسكری، ۱۹۸۸: ۳۳۲). استخدم الجواهری الذئب رمزا:

مَشی ابنُ "علیٍّ" مِشيةَ **الليثِ** مُخدرا تحدثه فـی الغـابِ **الـذِئابُ** فأصـحَرا
و مازالـت الأضـغانُ بِـهِ ابـن أُميّـة تُراجِـعُ مِنـه القَلـب حَتّـی تَحجّـرا

(ديوان: ۲۵۴ / ۲)

فَشبّه الشاعر ابن على(ع) بالليث الّذى تحدّته الذئاب، الذئاب هنا رمزٌ من آل أميّة الّذين لهم القلوب القاسية وفى قلوبهم الضغن.

نشاهد فى قصيده"فى الثورة السوريّة" الذئاب رمزا للمحتلّين:

سوريّةٌ أمُّ الضَـراغمِ أصـبَحَت **مَرعَـــــى الـــــذِئاب**

مِثــلُ الوَديــعِ مِــن الطُيُــور تَعاوَرتـــهُ يَـــدُ الكِـــلاب

(ديوان: ١/٣٢٢)

الذئاب هنا رمزٌ للمستعمرين و الغاصبينَ الذينَ اِحتلّوا سوريّة.

الذباب:

فاستخدم الشاعر الذباب فى أشعاره . الذباب رمز الكسل:

أَطبِــق عَلــى مُتبَلّــ ـينَ شَكا خُمولَهمُ **الذُّباب**

(ديوان: ٣/٤٠٧)

يطلب الشاعر من الظلام أن ينشر ظلمته على أهل الكسل حتى تشكو الذباب من خمولهم. استخدم الشاعر مفردة" الذباب" فى القافية. كما أن للقافية أهميّة كثيرة عند الجواهرى. فاستخدام الرموز في القافية تعلو مهارة الشاعر في إتقان مفرداته. واضحٌ أن الشاعر يهتمّ بالوزن. الوزن يلعب نوعا من التوازي بين كلمات الشاعر وأفكاره إلى جانب العوامل الموسيقية الأخرى(عبيد، ٢٠٠١: ٢٣). فلنذكر أن في قصيدة "أطبق دجي" تم ذكر رموز مثل الضباب والكلاب والذئب والنسر والغراب في القافية بطريقة زادت من قيمة القصيدة. فهذه القصيدة مشدودة إلى بنية كبرى بين الشعر والعناصر الرمزيّة. كما مدح الجواهرى قصائده من حيث خلوها من عيوب القافية:

أ يَـدرى مَـن يُردّدُهـا حِسـاناً خَـلاءً مِـن زِحـافٍ أو سِـنادِ

بأنَّ الشِّـعرَ تَشرب مِن عيونى قَوافيـهِ، وتأكُـلُ مِـن فـؤادى؟

(ديوان: ٢٢٣/ ٤)

يقول الشاعر: هل يعرف من يكرر قصائدي أنها خالية من عيوب القافية مثل الزحاف وسند؟! / هل يعلم أن أغاني قصيدتي تشرب من ماء عيني وتأكل من قلبي؟ (أي الشعر يتدفق من أعماق وجودى). الشاعر قدم صورة رائعة من الأشعار. هو مدح نفسه لإختيار القوافى الجيّدة:

أنا فى الشِّعر فارِسٌ إن أُغالَب ... يَكُنِ الطَبعُ لى مِجَنّاً وتُرسا
وإذا ما ارتَمَت علىَّ القَوافى ... نلتُ مُختارَها و عِفتُ الأخّسّا
أن أكُن أصغَر المُجيدينَ سِنّاً ... فأنا أكبرُ المجيدينَ نَفساً
طبّقَت شُهرتى البلادَ وما جا ... وَزَ عُمرى عَشراً وسبعاً وخمساً

(ديوان: ٣/١١٩)

فقد أعطي الجواهرى العناصر البشرية لعناصر الطبيعة لإظهارحالة المجتمع ورواية قضايا المجتمع ومشكلاته وتعبر عن أفكارها في شكل رموز الطبيعة.فظهرت مظاهر أفكاره التقية برموز مختلفة. إن الجواهرى كان قادرا فى ثبت الحوادث الخطيرة فى أشعاره (الجيوسى،٢٠٠١: ٣٥٠) فباستخدام الرموز، قوّي لغته الشعريّة. فنرى قصائده مملوء برموز مختلفة. فصور الجواهرى وجه المستعمرين القبيح بالرمز احتجاجا على الدولة المستعمرة. فهو باستخدام هذه العناصر الرمزية الجميلة، ينقل نواياه وأفكاره الداخلية للقارئ.جاءت رمزيّة عناصر الطبيعة وما يتعلّقها من الأشياء والحيوانات من أبرز الموتيفات فى أشعاره. فهو قد تطرّق من خلالها إلى مختلف مشاكل الحياة. فأبرز صداقته وطبعه فى الشعر كما قال:

ما ضَرَّنى غَضَبُ الدنيا بأجمعِها ... أن كان يُرضِى ضَميرى صِدقُ إنشادى

(ديوان: ١/٢٩٨)

أنا الحَنيف وهذى الأرضُ مُعشِبَة ... سجّادتى ورقيقُ الشعرِ أورادى

(ديوان: ١/٢٩٧)

كانت للموسيقى الداخلىّ أهميّة كثيرة عند الجواهرى. فإنه لجأ إلى التصريع فى

داخل القصيدة وبين كل مقطع و مقطع، و بين كل شوط و شوط، لاحداث هذه الضربة الموسيقيّة الحادّة وادخال تنويع على الجو الموسيقىّ الذى ران على سمع القارئ وحواسه(علوان، ۱۰۷۵ : ۳۰۴). فهو كان يطرب لما يراه من اعجاب الجمهور بأبياته الرنّانة(حجاوى، ۲۰۱۶: ۵۶۳).كما كتب فى ذكرياته عن علاقته بالموسيقى:

"ولئن استعصت علىّ المعانى الصعبة للقصائد فقد أخذنى إيقاع الشعر ... ورأيتُ أكابر أهل البلد يَهتزون على هذا الإيقــاع و تفتح عيونها على قدر ما شنفت به آذانهم ... وكنت أستمع وأرى ما يفعله الشعر بالناس واحسّ فى داخلى بمهــابة مــا بعده مهابــة"(الجواهرى، ۱۹۸۸، جزء ۱: ۶۶).كما أشار فى قصيدة "يا دجلة الخير " إلى أهميّة موسيقى الشعر:

يا دجلةَ الخير إنّ الشعرَ هَدهَدةٌ للسَّمع ما بَينَ ترخيمٍ وتنوين !

لم يختص اهتمام الجواهرى بالوزن و الموسيقى فى الشعر فقط، بل هو اهتم بالتوازن فى النثر. يقول سليم البصون فى كتاب"الجواهرى بلسانه وبقلمى"(البصون ، ۲۰۱۳ : ۳۳):

"الجواهرى الناثر هو الجواهرى الشاعر، فبإستثناء الوزن والقافيه فإنّ نثره شعر. بل يُمكن أن فى بعض نثره وزنا وقافية لأنّ فيه نغما وفيه موسيقىّ... والشعر هو لغة وموسيقىّ." و هذا نموذج من نثر الجواهرى:

"عجيب هذا الشعبُ الساحرُ... ما أروعَه.. وما أبدعَه .. وما أعظمَه .. ومظاهر روعة الشعوب و عظمتها و بداعتها و ابداعها أيضاً كثيرة . ولكن هناك مظهراً واحداً قد يصحُّ أن يكونَ الأطار الجامع المانع لتلك المظاهر كلّها، هو مظهرُ مدى ايفاء هذا الشعب أو ذاك للعاملين المُخلصين فى سبيلِ حقوقِهم من التقديرِ ...ما أروعَ هذا الشعبَ وما ابدعه وما اعظمه. انّه يخبر الرجال وانه يمنحهم..."(البصون، همان : ۲۲۱). إن جماليّةَ هذا النص تظهر فى توالى الصفات، تكرار وزن " أفعل"، تكرار الصامت: " ها" وتكرار المصوت: " ضمه" و " الف".

يعتقد الجواهرى أن الشكل والمحتوى شيئان لا ينفصلان كما سُئل الجواهري عن شكل القصيدة وكيفيّة ترجمتها إلى لغة أجنبية:

السؤال: يتميّزُ الشعر العالى ومنهُ شعرک، بالديباجة والبلاغة اللفظيّة إلى جانب تميزه بالفكرة. أفلا تُرى؟ أو هل تلاحظ أن ترجمة هذا الشعر إلى اية لغة اجنبيّة، تخل بديباجة الشعر وببلاغته؟ و هل ترى أن هذا الإخلال يَمتدُّ إلى المعنى فى بعض الأحيان؟

الجواب: ابدا لا اشکّ فى هذا و انما متأكّد انه لا يمكنُ أن ينقل هذا الشعر دون أن يفقد الشئ الكثير من بلاغته و حتى فكرته. أى ان الشكل و المضمون تقريبا لا ينفكان. فانّ القضيّة تصاعديّة. كلّما يَتصاعد الأسلوب يدلّ على تصاعد الفكرة. ولكن يأتى هنا الناثر القدير فى الترجمة. القدير بعسر فليس بيسير أن يأتى هكذا واحد. يأتى من يَستطيع أن يعطى الصورة الشعريّة باسلوب منطلق و بنفس المستوى من البيان والتبيان،و بأىّ اسلوب كان. وليكن بدون التزام بروىّ و قافية. وليكن بالنمط الشعرىّ الدارج و بكلّ أنماط الشعر. فقد يستطيع مثل هذا الشخص أن يوفّق و لو ليس كلّ التوفيق. (البصون، ۲۰۱۳: ۹۲). هذه العبارات تدلُّ على أهميّة الشكل و المضمون عند الجواهرى كما يهتم أن يزّين أشعاره بأسلوب الرائع. و كان هدفه الأعلى أن يتأثر فى القارئ كما قال فى أشعاره "**الشعر فى تاثيره**" :

الشعرُ فى تَاثيرِهِ، و الغَيثُ فى آثَارِهِ، و الشَّمسُ فى الإشراقِ

(ديوان: ۳۰۴ / ۱)

۵. نتيجه

إن ثقافة محمد مهدي الجواهري الغنية ودراسته الواسعة ومعرفته بالأدب والمفردات الواسعة، إلمامه بالكلمات العربية القديمة، وإتقانه للشعر العربي القديم، ذوقه الأدبىّ و اهتمامه بأسلوب العصر العباسي من أهم العوامل التي دفعته إلى استخدام المفردات الغنيّة و الأساليب المتنوّعة و الرموز.

الجواهری قام بأوصاف عناصر الطبيعة فی أسلوب بارع. فنری ارتباطا وثيقا بين عناصر الطبيعة والوظائف السياسية والاجتماعية والتربوية والعاطفية في أبياته. استعان الجواهری بالطبيعة الخلّابة، استعاراته وأوصافه وتشبيهاته. إن تصوير عناصر الطبيعة والتعبير عن أفكاره في شكل رموز طبيعية ذو أهمية كبيرة. هو تَكَلّم من الطبيعة بمعناها الواقعیّ وغيرها؛ فارتقت قصائده قيمة فنيّة بهذه الطريقة البلاغيّة.

وصف الجواهری أجزاء الطبيعة بدقّة فصورة الطبيعة فی أشعاره تارة تكون حقيقيّة و تارة رمز للأفكار و خلجات نفسه. إذ نراه يشير إلى العناصر الرمزيّة يستلهم من عناصر الطبيعة كالليل، والبدر،و السماء، والبوم،و الغراب،و الطير، والذئاب،و الأسد و... لقد استخدم الشاعر هذه الرموز بشكل مباشر وغير مباشر للاحتجاج على الوضع الحالي للمجتمع ليعبر عن أفكاره الليبرالية وأن تكون غطاء للتعبير عن الاحتجاج على الوضع الراهن. فهو صور وجه المستعمرين القبيح بهذه العناصر الرمزيّة احتجاجا على الدولة المستعمرة. فعبر عن نواياه وأفكاره الداخلية للقارئ. ارتبط الشاعر بين هذه المفردات وحالاته النفسيّة. فيشتاق القارئ أن يبحث عن المعاني العميقة .

ان الجواهری من أكثر الشعراء العراقيين ميلاً للرمز. فظهر الرمز في قصائد الجواهری كالرموز الشخصيّة، الدينية، السياسية، الإجتماعية، الطبيعية والتاريخية.حاول الشاعر تصويرحياة سعيدة باستخدام الرموز ومعانيها الإيجابية والسلبية، فهو جمع بين الصور والمفاهيم باستخدام العناصر الخطابية. - اعتمد الرمز أسلوبا للتصوير تحرّرا من السياقات التقليديّة و المعجمية و أراد إظهار قدرته على التوضيح من خلال تقديم أوصاف حية. فأعطي العناصر البشرية لعناصر الطبيعة لإظهار حالة المجتمع ورواية قضاياه ومشكلاته وعبر عن أفكاره في شكل رموز الطبيعة. فظهر مظاهر أفكاره التقية برموز مختلفة. فخرجت لغته من حالة السكون والجمود. قد استخدم هذه التقنية البلاغية كعنصر مهم لإبراز الخطاب و تقوية المعنى في مجموعة واسعة من قصائده. أحيانا كرر الرموز على التوالي في جميع أنحاء القصيدة.

جاءت رمزيّة عناصر الطبيعة وما يتعلّقها من الأشياء والحيوانات من أبرز الموتيفات فی شعر الجواهری. تطرّق الجواهری أفكاره الوطنية والليبرالية باستخدام الرمز للكشف عن أفكاره الداخلية ذات المعاني الدلالية الإيجابية والسلبية و بذل قصاری جهده لتصوير اضطرابات المجتمع لإستيقاظ الشعور الثوری عند الناس. إن قدرة الشاعر على تصوير القضايا اليومية في شكل الرمز جديرة بإهتمام.

يجب النظر في أبرز سمات الجواهری من قوة الكلام والتعبير و الصورة الشعريّة. يتأثر المتلقي بفن الجواهري وقوته في التأليف واستخدام الكلمات والتراكيب القديمة والقوية. فقوى الشاعر لغة شعره بتوظيف الرموز. وأصبحت الرموز إحد العوامل فی خلود شعره. فازدادت أشعاره جمالا عند الناقدين.

پی‌نوشت‌ها

۱. رافائل سانتسيو، ۱۵۲۰م - ۱۴۸۳ م"، المصور الايطالی العظيم المشهور

۲. Sauvanet Pierre

۳. مبانی زیباشناسی

منابع

- قرآن كريم
- ابن منظور، (۲۰۱۰)، "**لسان العرب**"،بيروت: دار صادر
- أحمد، محمد فتّوح (۱۹۷۷)، **الرمز و الرمزيّة فی الشعر المعاصر**، قاهره: دارالمعارف بمصر
- الأزهری، محمد بن احمد، (۲۰۰۱)، "**تهذيب اللغة**"، بيروت: دار إحياء التراث العربي
- أنيس، ابراهيم ، (۱۹۷۲)، **موسيقی الشعر**، القاهره : مكتبة الأنجلو المصريّة
- البصون، سليم،(۲۰۱۳)،" **الجواهری بلسانه و بقلمی**"، بغداد: دار ميزوبوتاميا
- بهاء الدين، جعفر، (۲۰۱۱)،" **الإلتزام فی شعر محمد مهدی الجواهری**"، بيروت : دارالكتب العربیّ
- جبرا، جبرا ابراهيم،(۱۹۹۵)، **الأسطوره و تحوّلاتها فی القصيدة العربيّة المعاصرة**، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات.

- جاسم، محمّد(۱۳۹٤)، **رمز و اسطوره در شعر معاصر ایران و عرب**، چاپ اوّل، تهران: نگاه
- الجواهری، محمد مهدی، (۱۹۸۸)، "**ذکریاتی**"، الطبعة الأولی، دمشق: انتشارات دارالرافدین
- ـــــــــــــــ، (۱۹۸۲)، "**دیوان شعر**"، الطبعه الثالثه، بیروت: دارالعودة
- الجیوسی، سلمی خضراء، (۲۰۰۱)،"**الإتجاهات و الحرکات فی الشعر العربیّ الحدیث**"،بیروت: مرکز الدراسات الإسلامیّة
- چدویک، چارلز، (۱۳۷۵ش)، **سمبولیسم**، ترجمه مهدی سحابی، چاپ اول، تهران، نشر مرکز
-حجّاوی، عارف.(۲۰۱۸). **إحیاء الشعر البارودیّ و الزهاویّ و شوقیّ و حافظ و الرصافیّ و الجواهری**"، الطبعة الأولی، قاهره: دار المشرق
- الخازن، ولیم، (۱۹۹۲)، "**الشعر و الوطنیه فی لبنان و البلاد العربیه**"، الطبعة الثالثة، بیروت: دارالعلم للملایین
- خلف، جلال عبدالله،(۲۰۱۱)،**الرمز فی الشعر العربیّ**، العدد الثانی والخمسون، جامعة دیالی/ کلیّة القانون و العلوم السیاسیّة
- الخوری، أنیس، (۱۹۸۸)، "**الإتّجاهات الأدبیه فی العالم العرب الحدیث**"، بیروت: دار العلم للملایین
- الدجیلی، عبد الکریم، (۱۹۷۲)،" **الجواهری شاعر العربیّة**"،النجف: مطبعة الآداب
- زاید، علی عشری ،(۱۹۹۷)، **استدعاء الشخصیّات التراثیّة فی الشعر المعاصر العربیّ**، القاهرة : دار الفکر العربیّ
- زندوکیلی،محمدتقی،(۱۳۹٦)،"**العدول الأسلوبیّ فی شعرمحمد مهدی الجواهری**"، دراسات الأدب المعاصر،العدد ۳۵،ص: ٤٤ - ۲۷
- الزواهرة، ظاهر محمد هزّاح(۲۰۰۸)، **اللون و دلالاته فی الشعر**: الشعر الأردنیّ نموذجاً، عمان: دار الحامد
- سلوم، تامر(۱۹۸۳)، **نظریّة اللغة و الجمال فی النقد الأدبی**، سوریه، اللاذقیه : دارالحوار
- سلیمان، جبران، (۲۰۰۳)، "**مجمع الأضداد**"، دراسه في‌سیرة الجواهري وشعره، الطبعة الأولی، بیروت: المؤسسه العربیة
- سوانه، پیر، **مبانی زیباشناسی**، ترجمه: محمد رضا ابوالقاسمی، تهران : نشر ۱۳۸۸: ۱۲۸
- شعبان، عبد الحسین، (۱۹۹۷)،" **الجواهری جدل الشعر و الحیاة**" ، الطبعه الأولی، بیروت: دارالکنوز الأدبیه

- شمیسا، سیروس(۱۳۷۸): **نقد ادبی**، تهران: نشر فردوس
- شوالیه، ژان و آلن گربران(۱۳۸۵)، **فرهنگ نمادها**، ترجمه سودابه فضایلی،چاپ سوم، تهران: نشر جیحون
- صالح، علی عزیز، (۲۰۱۷)،" **التشكيل المكانيّ و دوره في التكوين الدلاليّ عند الجواهری**"،جامعة بغداد: مجلّة كليّة التربية الأساسيّة،المجلّد ۲۳، العدد ۹۹
- طرخان، علی" **ألفاظ الطبيعة و دلالاتها فی شعر محمد مهدی الجواهری**" مجلة جامعة بابل، المجلّد ٢٤، العدد ٢٠١٦ كلية التربية الأساسيّة
- عباس، توفیق، (۱۹۷۸)، **نقد الشعر العربی الحديث فی العراق**،بغداد: دار التوفيق
- عبید، محمد صابر، (۲۰۰۱)، **القصيدة العربيّة الحديثة بين البنية الدلاليّة و الإيقائيّة**، دمشق: منشورات اتحاد كُتّاب العرب
- علوان،علی عباس،(۱۹۷۵)، **تطور الشعر العربیّ الحديث فی العراق**، الجمهوريّة العراقيّة: منشورات وزارة الأعلام
- العلوی، هادی،(۱۹۶۹)، **محمد مهدی الجواهری دراسة نقديّة**، النجف: مطبعة النعمان
- غالب، علی ناصر، (۲۰۰۹)، "**لغة الشعر عند الجواهری**"، الطبعة الأولی، عمان: دار الحامد
- هال، جیمز،(۱۳۸۳)، **فرهنگ نمادها در شرق و غرب**، ترجمه رقیه بهزادی،چاپ دوم، تهران : فرهنگ معاصر
- یونگ، کارل گوستاو(۱۳۵۹ ش)، **انسان و سمبل‌هایش**، ترجمه ابوطالب صارمی، چاپ دوم، تهران: کتاب پایا.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

Abstract

Aesthetics of the function of the elements of nature and its implications In the poems of Mohammad Mehdi Javaheri

Hojjat Rasouli*
Firouzeh Hoseini**

Symbols are prominent features of contemporary literature that are used in various functions such as elements of nature, personality, culture and civilization, etc. Mohammad Mehdi Javaheri, a prominent Iraqi poet, is one of the poets who in many of his poems has portrayed his patriotic and peaceful ideas in the form of various symbols. But the question is, how did Javaheri use symbols to express his intentions and thoughts? What is his purpose in using symbols? The present study has tried to provide evidence of the elements of nature along with its real and symbolic meanings in jewelry poems through analytical-descriptive method. The results showed the rich culture of Javaheri, his knowledge and studies on ancient literature and his mastery of various literary texts and his wide vocabulary; They are one of the most important factors that led him to use symbols. He has directly and indirectly used the living and non-living elements of nature such as night, month, sky, sun, owl, crow, eagle, etc. By using symbols with positive and negative semantic meanings and along with beautiful and symbolic illustrations, Javaheri has conveyed his inner intentions and thoughts to the reader and with this style he has elevated his poetry.

Keywords: contemporary literature, Mohammad Mehdi Javaheri, Elements of Nature, Aesthetics

* Professor of Arabic language & Literature - university of shahid beheshti, h-rasouli@sbu.ac.ir
** Ph.D student of Arabic language & literature - university of shahid beheshti, (corresponding author) fffhoseini95@gmail.com